

## **خطوة في الطريق الصحيح في التقرير بين مكوني الأمة: السنة والشيعة**

خطوة في الطريق الصحيح في التقرير بين مكوني الأمة: السنة والشيعة

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عضو المجلس الإسلامي الأعلى

السنة والشيعة مكونان أساسيان للدين الإسلامي وللعالم الإسلامي سواء كان ذلك من الناحية العددية أو الناحية التاريخية أو الناحية العلمية والفكرية بمختلف تجلياتها.

والأمة الإسلامية التي هي واحدة بتصريح الآية القرآنية (وأن هذه أمتكم امة واحدة...) وهي واحدة في إيمانها باه وواحد الأهد و هي واحدة في إتباعها واقتدائها بصاحب الرسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهي واحدة في اهتدائها بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن الكريم الذي هو نفسه الذي يستحضره عن ظهر قلب عشرات الآلاف من الحفاظ السنة والشيعة، لا يختلفون في سورة من سوره ولا يختلفون في آية من آياته ولا حتى في كلمة من كلما ته تشهد بذلك نسخ الكتاب العزيز سواء منها المطبوعة في بلاد السنة أو المطبوعة في بلاد الشيعة، وكذلك أمر ما هو مخطوط. يضاف إلى ذلك توجه المسلمين من السنة والشيعة إلى نفس القبلة فالجميع وبدون استثناء يولون وجههم شطر المسجد الحرام الذي في مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة (أول بيت وضع للناس) في الأرض وعلى هذا البيت العتيق يشد الرحال كل عام الآلاف من ضيوف الرحمن سنة وشيعة لاداء مناسك الحج وزيارة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة. فإذا أضفنا إلى كل هذه العوامل التي تجمع بين السنة

والشيعة عوامل أخرى أهمها أن المنطق والمفهوم من النصوص الشرعية المحكمة تدعوا بإلحاح المسلمين: سنة وشيعة إلى وحدة الكلمة واحتمام الشمل وتحذر وتتوعد من مغبة الفتنة والفرقة والتنازع والاختلاف (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وتبشر بالعقاب الشديد والعذاب الأليم لمن ينتهك دم أو عرض أو مال مؤمن ينطق لسانه بالشهادتين (إلا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة الشهر الحرام إلا هل بلغت اللهم فاشهد) فهل بعد هذا البيان بيان وهل بعد هذه الحجة حجة؟ فإذا نظرنا في هذه المسألة (وجوب الاتحاد بين مكوني الأمة السنة والشيعة) برؤية أعمق وأبعد مدى وأكثر وعيًا بالواقع المعيش في دار الإسلام على امتدادها وطبيعة التحديات فضلاً على تتابع الشواهد والبراهين على خطورة ما يدبر وينفذ من مؤامرات من أجل العمل على بث الفرقة والنزاع والاختلاف بين مكوني الأمة من سنة وشيعة والحلولة دون أي تقارب وتعاون وتكامل بينهما كل ذلك يدعو عقلاً الأمة وقادرة الرأي والفكر وولاة الأمور بالخصوص القادة الدينيين في الجانبين كي يكونوا واعين بكل هذه الأمور ويتحملوا مسؤولياتهم أمام الله وأمام التاريخ ويتقوا الله في الأمة ودينهما ويقفوا بالمرصاد في وجه كل المحاولات الخبيثة والشريرة لبث الفتنة والفرقة في صفوف الأمة بمختلف مكوناتها وفي كل بلدانها.

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على دعاء الفتنة فقال (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) واللعنة هو الطرد من رحمة الله ولا يستحق ذلك إلا مرتكب لجرم عظيم فضيع ولاشك أن مذكي نار الفتنة ومحى ما كاد ينسى من ضغائن وأحقاد متبع لخطوات الشيطان لا يريد خيراً للأمة ولا لدينها لا يختلف في ذلك اثنان اللهم إلا إذا كانوا من يزين لهم الشيطان أعمالهم فيقومون مقامه في إخراج المؤمنين من سنة وشيعة من نعمة الأمن والطمأنينة وإتباع المراط المستقيم إلى فتنة التنازع والاختلاف والتباغض والاقتتال وسفك الدماء البريئة.

لا ينكر أحد أن فترات من تاريخ الأمة شهدت مآسٌ فضيعة تذوب الأكباد تألفاً من مجرد ذكرها واستحضارها، لقد كان ما كان مما لا داعي لذكره لأنه مؤلم ومحزن ومخل ومحض الله ولرسوله عليه الصلاة والسلام.  
\* وليس مكتوباً على الأمة أن تعيد الكرة كل مرة فتنازع مكوناتها وتباغض وتنقاتل هكذا بعقلية بیگاویة وبتقليد أعمى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من قبلكم سنة برسُنة حتى إذا دخلوا حجر صب دخلتموه وراءهم !!)

\* ليس مقدراً على الأمة الإسلامية أن يظل حاضرها أسيراً لماضٍ غير مشرق ولا مشرف.  
لماذا نجني على الأجيال الجديدة من السنة والشيعة فنجعلهم يتوارثون الكراهية والبغضاء بل وندفعهم إلى قتل بعضهم البعض وسفك دماء بعضهم البعض؟

لا دخل لهم بل ولا دخل لنا ولمن سبقونا من الأجيال المتعاقبة إلى زمن الفتنة الكبرى فيما جرى لقد حمى الله منها سيوفنا آفلا يجدر بنا أن ننساها؟

أما آن لنا أن نلتقي على المجمع عليه والمتفق فيه وهو الأكثر والأغلب فنجعله منطلقاً وداعياً قوياً

للبذل والعطاء ولتجسيم الخيرية الفعلية للأمة الإسلامية والتي هي تآخ صادق وتعاون كامل على كل ما من شأنه أن يجعل من المسلمين أعزاء ويجعلهم الوارثين.

ونحن إذا توجهنا هذه الوجهة التي فيها مرضاعة الله ورسوله فسنفوت على أعدائنا - الذين ينبغي أن نتوقع منهم دائماً الاصطياد في الماء العكر- فرص الكيد لنا والتآمر علينا.

\* لقد تعالت ومنذ منتصف القرن الماضي أصوات حرة من بين صفوف السنة والشيعة من أجل التقارب بين مكوني الأمة الرئيسيين وتجسست هذه المبادرة في إنشاء مراكز وإصدارات مجلات ودوريات وعقد مؤتمرات وندوات بل وقررت مذاهب السنة والشيعة في برامج جامعة الأزهر وتضمنت موسوعة الفقه الإسلامي التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة مواد مختلف المذاهب الفقهية الأربع السنية المعروفة وأضيف إليها ما تضمنته المذاهب الأخرى من زيدية وجعفرية وإمامية وأباضية وتوفرت والحمد لله بين أيدي الباحثين والدارسين وحتى ولادة الأمور مادة فقهية ثرية لاشك أن فوائدتها كبيرة وأنها مع بعضها البعض تجسم صدق مقوله صلاحية الإسلام لكل زمان ولكل مكان.

\* ولم تسر الأمور مع الأسف الشديد دائماً في هذا الخط القويم السليم بل قراناً وسميناً وحتى شاهدنا ورأينا ما طنبناه أصبح نسيباً منسياً وكانت العراق ومنطقة شبه القارة الهندية مسرحاً لصدامات دامية كان فيها رواد المساجد والحسينيات مستهدفين بدرجة أولى وهم منصرون بسکينة في التقرب إلى الله فإذا بهم أسلاء مبعثرة تتناقل شاشات التلفزيون الإسلامية والأجنبية صورهم، مشاهد مذهلة مخزية هي والله عار وشنار في جبين الأمة كلها. وما كان لمثل هذه التصرفات الرعناء الطائشة لتتصدر إلا عن مجانين غسلت أدمنتهم وعبئتهم بكل ما الدين منه براء.

وما صدر من تصرفات من ذلك القبيل إلا من عدم اكتتراث وعدم مبالغة بفتاوي وشعارات وتصريحات وافتراطات ونيل وسب وشتم يحرمنا الله ورسوله في حق بعضنا البعض وفي حق أسلافنا الذين كان الأجر والأولى أن لا نزح بأسمائهم في تصرفاتنا الخرقاء وفتنتنا العمياء.

\* لقد آن الأوان أن ندرك إن الكلمات التي تلقي بها على عواهنها لا نابه لها يمكن أن تتسبب للأمة في المزيد من المأساة والآلام وتتسبب لنا في غضب الله وشدید عقابه.

\* إن التأسيس الفعلي للتقارب والتأخي الحقيقي إنما يبدأ بالخطاب والكلمة مسمومة ومقرؤة ومرئية في المدرسة والمعهد وعلى منبر الجمعة وفي خطبة الجمعة وفي الدرس، خطاب واحد لا ازدواج فيه، خطاب السر والعلن، خطاب المصدق مع الله ومع الأمة، خطاب الترشيد والتوجيه القويم الذي فيه التصويب وفيه الاجتناب لكل الحساسيات والتأويلات، الخطاب الذي ينهمك بالأمة ويجمع كلماتها ويرتب أولياتها ويجعلها شديدة الوعي بطبيعة المرحلة ودقة تحدياتها.

إن قادة الرأي والفكر وعلماء الأمة لدى مكوني الأمة من سنة وشيعة هم من يتحملون المسؤولية ويبدو أن سيراً في هذا المسلك القويم السليم هو ما انتهى إليه وآمن به بعض القادة الدينيين فقد قرأننا في هذا الصدد توجيهات إخواننا الشيعة من إمامهم السيد علي خامنئي حيث حرم عليهم التعرض بالإساءة

للصحابة وأمهات المؤمنين الأمر الذي بادر إلى مباركته والثناء عليه والترحيب به الدكتور احمد الطيب شيخ الأزهر.